القراءة للجميع ٣٤٥

مسئولية الكلمة

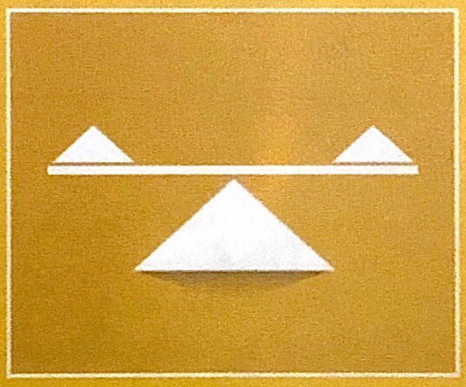

تأليف : عبد الرحمن بن علي العسكر

دار الوطن للنشر

مسئولية الكلمة

تأليف

عبد الرحمن بن علي العسكر

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مدار الوطن للنشر، الرياض

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ - ص.ب: ٣٣١٠

فرع السويدي: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ - فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧

المنطقة الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨

منطقة الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨

المنطقة الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨

المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧

التوزيع الخيري: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣

التسويق والمعارض الخارجية: ٠٥٠٦٤٩٥٦٢٥

البريد الإلكتروني: pop@dar-alwatan.com

موقعنا على الإنترنت: www.madar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله السميع البصير، يسمع الهمس الخفيف في الليل المظلم وهو علام الغيوب، أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أوتي من الكلم جوامعه، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أخص صفات المؤمنين الصادقين الذين هم القدوة لكل مؤمن الانضباط في الكلمة، يقول سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون:١- ٣].

وهم مع ذلك أيضا كما نزهوا أنفسهم عن الكلام الباطل فقد نزهو أسماعهم عنه أيضا، يقول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا

سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥]، فقد استشعروا مسؤولية الكلمة وعرفوا قدرها وخطرها، لأن القول السديد الواضح البين الذي لا لبس فيه ولا غموض سبب لصلاح الأعمال والفوز في الدنيا والآخرة، فهو طريق مغفرة الذنوب والخطايا، يقول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠- ٧١].

ولأن التحفظ في الكلام ومراعاة النطق قد يكون سببا لرضوان الله ورفع درجات صاحبه، كما أن إطلاق اللفظ دون نظر فيه ودون مبالاة لما ينطق به قد يكون سببا في حرمان صاحبه من الخير والانجراف به في نار جهنم كما أخبر بذلك

المصطفى ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم" [متفق عليه] ، وفي رواية لهما: "يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب".

كما أن النصوص العظيمة الواضحة من الكتاب والسنة جاءت بالحث على حفظ النطق والتحرز من لفظ غير منضبط قد يقود صاحبه لأمور لم يحسب حسابها، "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" [متفق عليهما]، "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة" [رواه البخاري].

جرم الكلمة وعظيم ضررها على صاحبها:

إن المؤمنين حقا قد استشعروا جرم الكلمة وأنه كبير، وأن جريرتها على صاحبها عظيمة، فكم أفسدت من بيوت عامرة، وكم دمرت من قلوب آمنة، وكم أتلفت من أموال وحقوق، وكم أفسدت من علاقات، وكم ذاق صاحبها بسببها ويلات وعذاب، ثم هي بعد ذلك تنتظر صاحبها يوم القيامة، إن لم يتداركه الله برحمة منه وعفو.

- فكما يدخل الإنسان إلى الإسلام بكلمة فقد يخرج من هذا الدين بكلمة، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

- رأس البدع والضلالات والشرك مبني على الكلمة فالقول على الله بغير علم جرمه لا يوصف، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ

وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [لأعراف:٣٣] .

ـ القذف يجلد صاحبه ثمانون جلدة بسبب كلمة بل قد يقود نفسه إلى النار بسبب قذفه غيره بالكفر، ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٤] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه"** [رواه البخاري ومسلم] .

ـ **الحلف**: كلمة واحدة أوجب الله عليها كفارة ، الطلاق ثلاثة حروف، لا جد فيها ولا هزل بل كلها جد ،كم أفسدت هذه الكلمة من بيوت كانت عامرة وكم فرقت من أسر،

الكذب يكون بكلمة واحدة "والكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار"، الغيبة والنميمة واللعن والسب والشتم وإفشاء السر، والاستهزاء بالدين وأهله، والمراء والجدال، كلها كلمات لكنها تجر على صاحبها وبالا وعقوبة وجرما إما في الدنيا أو في الآخرة وقد يجمع الله لصاحبها بينهما.

جرم الكلمة على المجتمع:

كل ما سبق هو من ضرر الكلمة على صاحبها ، لكن المرء قد يصدر كلمة دون نظر في تبعاتها فتضر أمة كاملة أو قوما براء، أو تكون سببا لتحريم شيء حرم لأجل كلامه ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فَحُرِّمَ من أجل مسألته"

[متفق عليه]، وفي لفظ عند مسلم "سأل عن شيء ونقَّرَ عنه فَحُرِّم من أجل مسألته".

وإن الإنسان كلما ارتفعت مكانته في المجتمع بوظيفة أو منزلة كلما ازدادت حاجته إلى التثبت في النطق وضبط كلماته، ومهما فرط فإن جرمه كبير بقدر ما تحدثه كلمته من ضرر وخذوا أمثلة على ذلك:

مسؤولية الخطباء:

الخطباء مسؤوليتهم كبيرة، فالواحد لا يتكلم لنفسه فقط بل يستمع إليه أمة من الناس فلا ينبغي أن يبني خطبته على اجتهادات شخصية أو أخبار إعلامية أو نظر آني للوقت، ينبغي أن يحادث الناس بما تسعه عقولهم، كم من منكر صغير أو معصية خفية غير ظاهرة، كبرها الخطيب أو الواعظ أو أي متصدر للكلام أمام الناس فصيرها بكلامه كبيرة، فعن أنس

ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون" [رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه]، وفي لفظ عند ابن أبي الدنيا والبيهقي: "ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به" وجاء في مرسل للحسن: "ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة"، فيا ليت شعري هل وعى الخطباء والوعاظ والمرشدون هذه الأحاديث.

مسؤولية العلماء:

العالم الذي صدَّر نفسه للفتيا ما لم يتدارك نفسه فلا يفتي إلا بما حاجة الناس إليه ، ويفتيهم بما يكون نفعا لهم في العاجل والآجل وإلا فقد أوقع نفسه في وعيد شديد من الله

ورسوله، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"** [متفق عليه].

ولو أن العلماء لا يفتون الناس إلا فيما يحتاجونه لكان في ذلك سداد لهم، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات، وهي كثرة المسائل ، وقد كان السلف يتجنبون الإجابة عما لم يقع أو عما ليس في بلدهم ما كان في ذلك البلد مفت يرجع الناس إليه، وقد ذكر ابن رجب في كتابه: "جامع العلوم والحكم" كلاما عن هذا الموضوع وذكر أن المرء قد يسأل عن أمور لم تقع فيبتليه الله بأن تقع تلك الأسئلة على نفس السائل؛ قال رحمه الله: ولما سئل النبي صلى الله عليه

وسلم عن اللعان كره المسائل وأعابها حتى ابتلي السائل به عينه قبل وقوعه بذلك في أهله أ.هـ فهل يعي ذلك كثير من السائلين، وهل يعي أولئك الأقوام الذين صدروا أنفسهم للفتيا مثل هذه الأمور.

أوصى ابن عباس مولاه عكرمة فقال له : اذهب فأفت الناس وأنا لك عون فمن سألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته فإنك تطرح عن نفسك ثلثي مؤونة الناس.

مسؤولية الشعراء:

الشاعر يرفع الذليل، ويخفض العزيز، ويقلب الحق باطلا والباطل حقا، ويقلب على الناس الأمور ببلاغة لسانه وفصاحته، ومع ذلك قال الله عنه: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إن أعظم الناس جرما إنسان شاعر يهجو القبيلة من أَسْرِهَا، ورجل تنفى من أبيه"** رواه البخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا بسند صحيح، يقول المناوي: يهجو القبيلة كلها لإنسان واحد منهم كان منه ما يقتضيه، فإن القبيلة لا تخلو من عبد صالح فهاجي الكل قد تورط في الكذب على التحقيق فلذلك قال: أعظم فرية.

مسؤولية رجال الإعلام:

الإعلام ذلكم الباب المفتوح والطريق المشرع لبعض من لبسوا فيه لباسا غير لباسهم فتدثروا بعباءة المفتي وليسوا بمفتين ، ولبسوا عمامة القاضي ولا علم لهم بالقضاء ، هم في كل واد يتحدثون وفي كل بحر يخوضون، رخص عندهم الكلام ، وسهلت عليهم الألفاظ، فصاروا يغدون ويروحون

فيما ليس لهم به علم ، أتدرون من هم؟ إنهم جزء من أولئك الصحفيين والكتاب الذين أقحموا أنفسهم في الحديث عن أمور ليست من فنهم ، ومن تكلم في غير فنه جاء بالعجائب، فخلطوا الأمور الشرعية بالأمور السياسية، ما بالهم لا يتحدثون عن أمراض الناس البدنية وعن أدويتها ، لماذا ؟ ألا أنهم ليسوا بأطباء، فما بالهم يتحدثون عن أمور الشرع والدين، وكأن شرع الله وأحكامه لا بواكي له.

ومع ذلك كم جر الكتاب والصحفيون ومتصدروا الإعلام على أنفسهم شرا وخطرا ، أما فسدت علاقات دول، وقامت حروب بسبب كلام كتب في صحيفة أو خبر نشر في إذاعة، كم تعجل الكتاب ومن نحا نحوهم في الحكم على الأمور الشرعية أو السياسية عن طريق البناء على تقارير إعلامية تنتابها العجلة والإغراض ونشر الفتنة، فترى الكاتب

ومن نحا نحوه يبني عليها كلاما طويلا حتى إذا اتضحت الأمور تبين خلاف ذلك.

مسؤولية مستخدمي الإنترنت:

ليقل الإنسان كل ما يريد عن ذلك الغث والنتن الذي ينشر عن طريق شبكة الإنترنت، كلام يعجز المرء عن قراءته فكيف بالتعبير عنه، أما علم أولئك الكتاب، أنهم سيسألون عن كل حرف كتبوه، حتى وإن كتبوا بأسماء مستعارة فإنه ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، كم يكتب فيه من سب وقذف ولعن وشتم وتكفير وتفسيق وتبديع واتهام بالباطل ورجم بالغيب وتهييج للفرقة والخروج على الجماعة ودعوة لنزع بيعة الحاكم من أمور يندى لها الجبين، لكن يكفينا أن نعلم أن كل أولئك سيقفون بين يدي عزيز منتقم وسيحاسبهم على كل قول قالوه أو كتبوه أو أيدوه أو فرحوا به.

وأخيرا فإن الواجب على الناس جميعا استشعار مسؤولية الكلمة التي تخرج من أفواههم أو يكتبها أقلامهم أو تفرح بها

قلوبهم فما أشد ما يجره المرء على نفسه بسبب كلمة (وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم).

ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق وغيره أن الليث بن سعد وغيره قال : كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إلي بالعلم كله، فكتب إليه إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم فافعل.

اللهم سددنا في القول والعمل، اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأقوال والأخلاق، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

وكتبه

عبد الرحمن بن علي العسكر

ص. ب: ٩٠٨١٨ الرياض: ١١٦٢٣